التكرار وأثره في تماسك النص
في شعر ابن الرومي

سليم قاسم زعيج
اللقب العلمي: مدرس دكتور
الشهادة: دكتوراه في اللغة العربية، أدب – نقد حديث
وزارة التربية – مديرية تربية الرصافة الثالثة
Saleemqassim22@gmail.com

خلاصة:

التكرار في أبسط تعريفاته، هو إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرٍ مطلق أو اسم عام . ويتمثل في تكرار لفظ معينٍ أو مجموعة من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص، والهدف من ذلك التكرار التأكيد، والتكرار له دور مهم في ترابط أجزاء النص بشكل واضح، فهو نوع من أنواع الإحالة، كما هو الحال في (الإحالة التكرارية) بمعنى أنَّ الثاني منهما يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار.

ينماز التكرار في قصائد ابن الرومي بالتدرج المنطقي من خلال الوحدة الموضوعية، إذ تقوم على أساس العرض التدريجي، فهناك مشهد يبدأ به الشاعر ثم يتجه إلى مشاهد أخرى يعرضها الشاعر متتابعةً، الأمر الذي يجعل المتلقي متوقعا في مرحلة ما من القصيدة ما سيأتي بعدها، ويستمرُّ هذا التدرج المنظّم إلى خاتمة القصيدة، فالشاعر يقيم بعض تكراراته على وفق عرضٍ منظم، وهذا يفضي إلى اكتمال القصيدة نصيًّا، بغض النظر عن طولها أو قصرها، إذ إن ذلك يعد من العلاقات المعنوية الضمنية ، وهذا يعني أن هناك علاقات ظاهرية لغوية مادية رابطة أيضا .

تأسيسا على ما تقدم سأتناول نماذج من شعر ابن الرومي بنيت على وفق هذا النظام التكراري الذي أسهم في تماسك النص .

الكلمات المفتاحية: التكرار – تماسك – النص

The Repetition and its Effect on the Cohesion of the Text in Ibn al-Rumi's Poetry

Assistant Lecturer . Saleem Qasem Z.
Ministry of Education – General Directorate of Education in Al-Rusafaa/3
Saleemqassim22@gmail.com

Abstract

The repetition in its simplest definition is to return a lexical element or a rhyme to its synonym or pseudo-synonym, absolute element, or generic name. It is a repetition of a word or a number of words at the beginning of each sentence to confirm, and this repetition in the apparent text makes a link between the parts of the text clearly. It is a form of assignment to the former as it turned out through the definition of (repetitive reference) of them refer to the first, and then the link between them, and thus between the sentence or paragraph in which the first party of the two ends of the repetition, the sentence or paragraph contained in the second party of the two ends of repetition.

The poems are characterized by Ibn al-Roumi logical progression through the unity of objectivity, which is based on the progressive presentation, there is a scene begins by the poet and then goes to other scenes that the poet displayed sequentially, and this makes the person who hears the poetry expected at some point of the poem and what will come then. This systematic progression continues to the conclusion of the poem, the poet evaluates some of its repetitions on the basis of an organized presentation, and this leads to the completion of the poem text, regardless of the length of the poem or shortness, as that is the implied moral relationship, and this means that there are linguistic relationships Physical bond also.

For all of the above, I will mention examples of Ibn al-Roumi's poetry written in accordance with this repetitive system that contributed to the coherence of the text.

key words: Repetition - coherence - text

التكرار وأثره في تماسك النص
في شعر ابن الرومي

مدخل:

تتماز قصائد ابن الرومي بالتدرج المتسلسل في عرض الأفكار، من غير ان يخل بالوحدة الموضوعية للقصيدة، إذ تقوم على أساس العرض المنظم، فهناك مشهد يبدأ به الشاعر ثم يتجه إلى مشاهد أخرى يعرضها الشاعر متتابعةً، الأمر الذي يجعل المتلقي متوقعا في مرحلة ما من القصيدة ما سيأتي بعدها، ويستمرُّ هذا التدرج المنظّم إلى خاتمة القصيدة، فالشاعر يقيم بعض تكراراته على وفق عرض منظم، وهذا يفضي إلى اكتمال القصيدة نصيًّا، بغض النظر عن طولها أو قصرها، إذ إن ذلك يعد من العلاقات المعنوية الضمنية ، وهذا يعني أن هناك علاقات ظاهرية لغوية مادية رابطة أيضا .

تأسيسا على ما تقدم سأتناول نماذج من شعر ابن الرومي بنيت على وفق هذا النظام التكراري الذي أسهم في تماسك النص .

التكرار وأثره في تماسك النص:

أولى علماء العربية التكرار أهمية كبرى، لما لهذه الظاهرة من أثر في سبك الكلام وجودته . إذ وصفه ابن الأثير بأنَّه نوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ . (ينظر: ابن الاثير، ٣/٣). (Ibn al-Atheer, Zia al-Dinre 3\3) .

والتكـــرار عنـــد السجلماسي (٧٠٤هـ) "إعادة اللفظ الواحد بالعدد، أو بالنوع، أو المعنى الواحد بالعدد، أو بالنوع في القول مرتين فصاعدا . والتكرير اسم لمحمول يشابه به شـيء شـيئاً في جوهره المشترك لهمـــــا . فلذلك هو جنس عالٍ تحته نوعان، أحدهما: التكرير اللفظيّ، ولنسمه (مشاكلة) ، والثاني: التكرير المعنوي، ولنسمه (مناسبة)، وذلك لأنه إمَّا أن يعيد اللفظ وإما أن يعيد المعنى، فإعادة اللفظ هو التكرير اللفظي وهو المشاكلة، وإعـــــادة المعنى هو التكرير المعنوي وهو المناسبة"، (السجلماسي،، ٤٧٦-٤٧٧)، (Al-Saljamasi (476-477.

وهو في التعريفات الحديثة إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصر مطلق أو اسم عام، كما نجد الأزهر الزناد والدكتور سعيد بحيري يطلقان على هذه الوسيلة (الإحالة التكرارية)، (ينظر: الزناد، ١١٩)، (وينظر : بحيري، سعيد، ٨٨) . (Al-Zinad,

and (Bahiriy Saied, p88) . (p119. وتتمثل: في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كل جملة من جمل النص قصد التأكيد، والإحالة بالعودة أكثر أنواع الإحالة دوراناً في الكلام، وهذا التكرار في ظاهر النص يصنع ترابطاً بين أجزاء النص بشكل واضح فهو يعدُّ من ضروب الإحالة إلى سابق كما اتضح من خلال تعريف (الإحالة التكرارية) بمعنى أنَّ الثاني منهما يحيل إلى الأول، ومن ثم يحدث السبك بينهما، وبالتالي بين الجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الأول من طرفي التكرار، والجملة أو الفقرة الوارد فيها الطرف الثاني من طرفي التكرار.

وقد مثّل هاليداي ورقية حسن بنموذج للتكرار المعجمي بالمثال التالي:

– اغْسِلْ وانْزِعْ نوى ستِ تفاحات، ضَعِ التفاحات في صحنٍ مقاوم للنار. (ينظر: عبد المجيد، جميل، ٧٩) (Abdulmajeed Jameel, p79) . فقد تمت الإحالة هنا، من خلال تكرار لفظ (التفاحات) وبالتالي أسهم في تحقيق ترابط بين الجملة الثانية بالأولى، الأمر الذي أدى إلى تماسك نصي، إذ يمكن عن طريق هذا الترابط أنَّ يجعل هاتين الجملتين تشكلان نصاً .

ولا تقتصر وظيفة التكرار على الجانب الدلالي، فهو يتجاوز ذلك، فيعمل على تماسك النص، من خلال تكرار عنصر معين من بداية النص الى نهايته .

ولا يرى (بوجراند) أثرا كبيرا للتكرار في سبك النص وتماسكه، إذ يقول: "تعدُّ إعادة اللفظ في العبارات السطحية التي تتحد محتوياتها المفهومية وإحالاتها من الأمور العادية في المرتجل من الكلام" . (دي بوجراند، روبرت، ص٣٠٣) .(De Grand, Robert, p303) . ويمكن "لإعادة اللفظ في العبارات الطويلة أ و المقطوعات الكاملة أن تكون ضارة لأنها تحبط الإعلامية" . (دي بوجراند، روبرت، ص٣٠٦) . (De Grand, Robert, p306) . ومع هذا فـ(بوجراند)، لم يسلب التكرار التأثير كله، فقال: "ومن صواب طرق الصياغة أن تخالف ما بين العبارات بتقليبها بواسطة المترادفات" . (دي بوجراند، روبرت، ص٣٠٦) (De Grand, Robert, p306). وكذلك يقول "ويمكن للمخالفة المتعمدة لمبدأي الثبات والاستقرار أن تزيد في الإعلامية والاهتمام" . (دي بوجراند، روبرت، ص٣٠٤) .(De Grand, Robert, p306) .

مما تقدم يمكن القول إنه لا يبدو هنالك فرقٌ كبير بين ما رآه نقادنا القدامى، لاسيما، ابن الأثير، وما ذهب إليه بوجراند، إذ إن كليهما ينظر إلى التكرار من وجهة نظر واحدة وهي وظيفة التكرار (المعيار الوظيفي)، ومدى فائدته في سبك النص .

لقد تكلم النصيون عن خمسة أنواع من التكرار هي:

١- التكرار المحض أو التام: ويقصد به تكرار الكلمة نفسها .

٢- التكرار الاشتقاقي، أو الصرفي .

٣- التكرار بالترادف .

٤- الاسم الشامل (العام) ويقصد به اسم يحمل أساسا مشتركا بين عدة أسماء .

٥- تكرار القضية أو القصة: ويقصد به تكرار قضية معينة بجمل وعبارات مختلفة عن بعضها، وتفيد الزيادة في الموعظة لاسيما في الأمور العظيمة عندها لا يمل المتكلم ولا السامع من التكرار؛ لأن أهمية الموضوع ومقام الموعظة تقتضي ذلك . (خطابي، محمد، ص٢٤- ٢٥)، (Khatabiy Mohammed p24-25) .

بعد هذا المهاد النظري للتكرار وأهميته في سبك النص، سأحاول أن أحول هذا المهاد النظري إلى إجرائي على نصوص ابن الرومي الشعرية، وسأبدأ بنصه في رثاء مدينة البصرة التي أغار عليها الزنوج، وسأبدأ بـ (المقامية)، وذلك انطلاقاً من أن لكل نص رسالة معينة يريد المؤلف إيصالها إلى المتلقي، كما أن أحد معايير الحكم على النص بالقبول هي مدى ملاءمته للسياق الذي يرد فيه . (ينظر: دي بوجراند، روبرت، ص٩١) (De Grand , Robert, p9) . وكما أن للنص علاقات داخلية تحكم تماسكه، فإن هنالك علاقات خارجية يؤدي الإخلال بها إلى عجز النص عن التماسك، وكما يقال (لكل مقام مقال ولكل حديث حادث) . من هنا كان المقام أحد المقومات الفاعلة في اتسا ق النص وتماسكه، فقد كان ابن الرومي فريداً في رثاء البصرة التي أضفى عليها تجسيداً، يعدُّ مميزاً من نوعه، من حيث الدقة والإحاطة بكل صغيرة وكبيرة، وهو في فيها يحاول السيطرة والتدرج الذكي البارع واللفّ والدوران العقليين؛ لشدّ انتباه المتلقي وذلك بوصف مواطن الـ فاجعة . كذلك ينزع ابن الرومي في هذه القصيدة إلى أسلوب الخطابة إقناعا وتفصيلاً وبراعة وحيلة . إن هذه الأمور كلها جاءت متناسبة مقاميا، مضفيا عليها أبعاداً تداولية كان من شأنها ربط النص وتماسكه مع سياقه الخارجي، ولست أشك في أن من يقرأ النص ينتقل مباشرة إلى تلك الحادثة كأنه يشاهدها ويعيش أحداثها .

إن مقارنة ابن الرومي الماضي السعيد بالحاضر الشقي، هو دافع وجداني، فقد حوَّل الشاعر القيمة الانفعالية إلى قيمة تعبيرية وبالعكس، فجعل المتلقي يعيش ألم الفاجعة كما عاشها

هو، مستثمرا كل أدواته من (مكان، شخوص، أحداث، دراما، حبكة)، الأمر الذي جعل القصيدة متماسكة نصيا مع سياقها الخارجي .

وكان للتكرار دور بارز في تماسك النص، فالنص كله قائم على التكرار – أعني التكرار المعنوي، فالنص كله يدول حول الرثاء فلا يكاد بيت يخلو من هذا المعنى من بداية النص حتى خاتمته، الأمر الذي جعل النص متماسكاً موضوعيا، فهو يدور حول موضوع واحد، هو الرثاء .

إلى جانب التكرار المعنوي نلمس تكرارا لفظيا عمل على تماسك النص، إذ إنه يكرر الألفاظ ويعيدها كثيرا، مثل (أي) الاستفهامية، و (لهف نفسي)، و (أين)، و (من) الاستفهامية، ومع كل لفظ مكرر معاني مكررة في إطار واحد . كما يقول العقاد: "إن هذا الاستقصاء كان سببا من أسباب الإطالة، ولكنه لم يكن كل السبب .. يوقعه في الاستطراد– الاستغراق في المعنى – تارة في إهمال اللفظ، وتارة أخرى يقع في الأساليب النثرية التي ينفسح غيرها للإسهاب والإطناب والتفصيل، والمراجعة والاستدراك، فينظم في هذه الحالة وكأنه ينثر، إلا أنه لا يخلو من الشاعرية ولا يسفُّ إلى طبقة المتن المنظوم والألفيات التي ليس فيها من الشعر إلا أنها موزونة مقفاة" . (العقاد، عباس محمود، ص٣٢٦) . (Al-Aqqad , Abbas Mahmood, p326) .

فالتكرار فضلاً عن أنه حالة شعو رية تلحُّ على صاحبها عن وعيٍ أو غير وعي، فهي عند شاعرنا إلحاح مستمر يقوده إلى المبالغة والتدرج في المعنى، فمبالغته مبالغة تكرارية والتدرج تدرج تكراري، يستعيد المعنى ذاته، فيوسعه ويعلله ويبالغ فيه، أو كما يقول ابن رشيق (يقلبه ظهرا على عقب حتى يميته) .

من ابرز مظاهر التكرار المؤدي الى التماسك نجده في قصيدته التي رثى بها مدينة البصرة حين اغار عليها الزنوج، اذ يتكلم شاعرنا في مستهل أبياته الخمسة الأُول عن الفاجعة بشكل عام، أي إنّه يبدأ من العام إلى الخاص، وعن تأثيرها في نفسه بل على نفس كل إنسان ذي شعور وعاطفة يحمل في قلبه شيئاً من الإنسانية، ومن ثم ينتقل إلى التعبير عن تفصيلات الموضوع، مم ا أصاب البصرة من الهموم والحرق والحزن والتفجع والهلاك، بعدما كانت عليه من العمران والخير والعزة والسعادة . الأمر الذي سوَّغ للشاعر أن يكرر المعاني ويفصلها، وهذا مع وصف دقيق فـ ي تفصيل الموضوع مصحوبا بالتحسر والتلهف عليها وعلى أهلها حسرة كالنار المتقدة في أعماق الشاعر :

ذادَ عـــن مقلتـــي لـــــذيذُ المـــــنامِ شـــــ غلُها عنـــــه بالـــــدموعِ الســـــجامِ
لهـفَ نفســـي عليـك أيتهـا البـصـــ ـرةُ لهـــــفًا كمثـــلِ لهـــــب الضـــرامِ
لهـف نفســي عليـك يـا معـدن الخيـــ رات لهـــــــفًا يُعـــــصُّني إبهـــامي
لهـف نفســي علـــيك يـا قبَّـة الإســـ ـلامِ لهفًـــا يطـــول مـــــنه غـــرامي
لهـف نفســي عليـك يـا فرضـة البلـــ ـدانِ لهـــــفًا يبقـــى علـــى الأعـــوام
لهـف نفســي لجمعـك المتـــفـــاني لهـــ فَ نفســـي لعـــزكِ المستضـــامِ

ديـوان ابـن الرومـي، (٦/٢٣٧٧-٢٣٧٨)،
Ibn Al-Roomiy poetry, p6\2378-2377.

يشكل التكرار، هنا، ملمحا اسلوبيا اداته اللغة، اذ افاد الشاعر من الطاقة الدلالية للتكرار، فعمد الى تكرار (لهفي نفسي) خمس مرات متواليات في القصيدة؛ ليخلق جوا خاصا توحي به كلمة (لهف)، وهي تشير إلى الخشية والحسرة، الخشية من تفاقم الخطب، ومن المصير المرعب والحسرة على ما وقع على البصرة . فضلاً عن أن تكرارها على هذا النحو عمل على استقرار المعنى في نفس السامع، الأمر الذي خلق جوا من المشاركة الوجدانية بين المتكلم والسامع، فكانت نتيجة ذلك تماسك النص تماسكا لا يتصور معه أن أبياته مستقل أحدها عن الآخر، إنما هو نص متكامل لا يمكن تجزئته .

ان التكرار في الابيات السابقة، خلق جوًّا مشحونا بالحزن والأسى، فقد سبق التكرار البيت:

ذادَ عـن مقلتي لـذيذُ المـــنامِ شغلُها عنه بالدموعِ السجامِ
أيُّ نومٍ من بعد ما حل بالبص رةِ من تلكمُ الهنات العظامِ
أيُّ نوم من بعد ما انتهك الزّنْ جُ جهاراً محارم الإسلامِ

ومما لا شك فيه، ان في ذلك أعلى مراتب الحزن والاسى، لما حلَّ بتلك المدينة وبأبنائها، من مصاب جلل، فبعد أن كانو ا ينعمون بالأمن والسلام، انشبت أظفار الغدر في جسد أمنهم وسلامهم، فأصبحوا مشردين غير آمنين على أرواحهم وأعراضهم، الامر الذي جعل الشاعر يغوص في فضاء من الاستفهام حين كرر الجملة الاستفهامية (أي نومٍ)، نافيا عن عينه النوم والسهاد، فكيف ينام بعدما حلَّ بالبصرة من أمورٍ جِسام أرقت الشاعر وسلبت النوم من عينه ؟ .

ويعمل الشاعر، عن طريق التكرار بـ (كم) الخبرية، وهي التي تفيد التعظيم هنا، على تجسيد المدينة بساكنيها، فكل فعل يقع على المواطنين، إنما يصيب المسكون والساكن معا، فالحجر والبشر، عنده، كل لا يتجزأ؛ إذ إن تخريب البناء يشرد أهله ويذهب بهم فلا البيت يبقى ولا من كان بداخله يظل بداخله، فهذا ما رمى الشاعر إليه حين أكمل المأساة بقوله الذي جعله يشير إلى المدينة من خلال أهلها، ويؤكد هذا التفجع بترديد (كم) الخبرية ما يقرب من ثماني مرات، وذلك ليصور الفاجعة بآثارها الحسية:

كم أغصوا من شارب بشراب ... كم أغصوا من طاعم بطعام ؟
كم ضنين بنفسه رام منجى ... فتلقوا جبينه بالحسامِ ؟
كم أخ قد رأى أخاه صريعا ... تربِ الخدّ بين صرعى كرامِ ؟
كم أبٍ قد رأى عزيز بنيه ... وهو يعلى بصارم صمصامِ ؟
كم مفدى في أهله أسلموه ... حين لم يحمه هنالك حامي ؟
كم رضيع هناك قد فطموه ... بشبا السيف قبل حين الفطامِ
كم فتاةٍ بخاتم الله بِكرٍ ... فضحوها جهرا بغير اكتتامِ؟
كم فتاةٍ مصونة قد سبوها ... بارزاً وجهها بغير لثامِ؟

(ديوان ابن الرومي، ٦/٢٣٧٨) Ibn Al – Roomiy poetry, p6\2378)

إن الغاية من هذا التكرار هو تثبيت قضية معينة أراد الشاعر تثبيتها في ذهن المتلقي، إذ صور مدى فداحة الأمر وجرأة أعداء الإسلام على التطاول على الحرمات وقتل النساء والآباء والأبناء بغير ذنب . فقد أفاد تكرار (كم) الخبرية، زيادة في تثبيت المعنى، لاسيما في الأمور العظيمة، الأمر الذي يكسب اهتمام السامع وتفاعله عاطفيا مع ما أراد الشاعر بسطه؛ لأن أهمية الموضوع ومقام الموعظة تقتضي ذلك، فضلا عن ذلك فقد أسهم التكرار في تماسك النص فلا يمكن بأية حال من الأحوال ان نقف عند بيت من دون ان نستمر الى البيت الذي يليه، وعلة ذلك الأمر متأتية من الترابط بين الكلمات المكررة .

إن التسلسل المنطقي في هذه القصيدة يجعل منها متماسكة نصيا، إذ يعرض الشاعر الأحداث بطريقة متسلسلة غير مجزأة، الأبيات مرتبط بعضها ببعض عن طريق السببية فاللاحق يأتي سببا ونتيجة للسابق، وهذا ما أشار إليه حازم القرطاجني حين تحدث عن الترابط على

مستوى القصيدة ككلّ، إذ يقول: "فاطّرد له الكلام في جميع ذلك أحسن اطّراد، وانتقل في جميع ذلك من الشيء إلى ما يناسبه، وإلى ما هو منه سبب، ويجمعه وإياه غرض، فكان الكلام، بذلك، مرتبا أحسن ترتيب، ومفصلاً أحسن تفصيل، وموضوعا بعضه من بعض أحكم وضع" . (السجلماسي، ص٢٩٠) . (Al-Saljamasi –p290) .

إن العاطفة الجياشة والشعور بالمسؤولية، تجاه أبناء جلدته كان الدافع الرئيس الذي جعل الشاعر يرثي مدينة البصرة وابنائها، فهو – ربما ينطلق من مبادئ الدين الاسلامي الذي دعا الى الاهتمام بأمور المسلمين والحزن لحزنهم، لذلك نجد الشاعر يتوجه إلى حرمات المسلمين شارحا حالتهن بتفصيل دقيق معيدا لفظة (من) الاستفهامية، لكي يحض المسلمين على الدفاع عن شرفهم، فلا عذر لهم اذا لم يدافعوا عن حرماتهم بعد ما حل بهن:

مـنْ رآهـــنَّ فـي المـــساق سـبايا ... داميـــات الوجـــوه لـــلأقـدامِ

مـنْ رآهـنَّ فـي المـقـــام وسـط الـزْ ... زنـــجِ يقـــسمن بيـنهم بالسـهامِ

مـنْ رآهـــنَّ يتـــخـــذن إمـــــاء ... بـعـد ملـــك الإمـــاء والخـدام

إن اصطفاف وجدان الشاعر مع سياق النص العام يمثل حالة توحد، أو ما يمكن تسميته (تمثل تجربة) أو (وعي تجربة) فالشاعر لم يشاهد الواقعة كما حدثت بكل تفاصيلها – وإن كان سمع بها، إلا أن وجدانه المرهف وصدقه الفني صوَّر تلك الحادثة بكل تفاصيلها (تمثل التجربة) الخاصة به، فما ترك شيئاً إلا وقد وصفه .

ولم تتوقف تكرارات ابن الرومي عند النص السابق فحسب، بل نجده التكرار في نصوص أخرى، وكان احد عناصر سبك النص وتماسكه . لنقرأ قصيدته:

أبكي الشباب لنفسٍ كانَ يسعفها ... بكلِّ ما حاولتَه من ملاهيها

أبكي الشبابَ لآمال فُجِعتُ بها ... كانت لنفسي أنساً في معانيها

أبكي الشبابَ لنفسٍ لا ترى خلفاً ... منهُ ولا عوضاً مذْ كانَ يرضيها

أبكي الشباب لعينٍ كلَّ ناظرها ... بعدَ الثقوبِ وحارَ القصدُ هاديها

(ديوان ابن الرومي،٦/٢٦٤٤)

(Ibn Al Roomiy poetry, p6\2644) .

الشباب من الموضوعات التي طرقها الشعراء – قدامى ومحدثين – وصوروه بصور شتى، وكان شاعرنا من أولئك الشعراء الذين وصفوا الشيب وبكوا على الشباب، فأجاد في وصفه، أيما إجادة .

وقد أسهم تكرار صيغة اسم الفاعل في تماسك القصيدة من خلال ذلك التكرار المنتظم لتلك الصيغة . يقول ابن الرومي:

الواحد الماجد الذي عدم الـ ... مثْلَ فلم يلق ماجداً عَشَره
الوارث المجد كل أصيد لا ... يدفع تيجانه ولا سرره
القائل الفاعل الموارع لا ... يشكو العلى بخله ولا حصره
المانح السائل الرغائب والـ ... غائل مسبار كل من سبره
الآخذ الخطة الرضية والتْـ ... تارك ما الحظ فيه أنْ يذره

(ديوان ابن الرومي،٣/٩٣٩)
(Ibn AlRoomiy poetry, p3\939) .

كرَّر الشاعر في قصيدته صيغًا صرفيةً معينةً هي: (الواحد، الماجد، ماجدا، الوارث، القائل، الفاعل، المانح، السائل، غائل، الآخذ، تارك). وهي من المشتقات (اسم فاعل) التي تدل على من قام بالفعل، ويبدو ان الشاعر أراد بـ تكرار صيغة اسم الفاعل أن يشد انتباه المتلقي، فضلا عن شد بناء قصيدته ليكون بناء محكما متماسكا .

ويقول مكررا صيغة (فعل):

لك الرأي والجودَ اللذان كلاهما ... زعيمَ بكشف المطبقات الكوارب
وما زلتَ ذا ضوءٍ ونوءٍ لمجدب ... وحيران حتى قيل: بعضُ الكواكبِ
تغيث وتهدي عند جدبٍ وحيرةٍ ... بمحتفل ثرٍّ وأزهرَ ثاقبِ

(ديوان ابن الرومي،١/٢٢٠) (Ibn Al-Roomiy poetry, 1\220) .

استعان الشاعر في تشكيل ملامح هذا المقطع، الموسيقية والدلالية بالتكرار لصيغة (فعل)، وذلك في قوله (كَشْف، ضوء، نوء، جدب، ثَر)، وقد أبدع الشاعر صورته المستمدة من الكواكب، والضوء، والرأي، والجود وغيرها من الألفاظ التي توحي بالإيقاع الموسيقي المتحرك، وكان للتضاد

في البيت الأخير أثر في تماسك النص، إذ أدت كل لفظة معناها (تغيث – جدب) و(تهدي – حيرة)، فالجدب لفظ يدل على الحاجة والقحط أتى له بلفظ مناسب وهو تغيث، والحيرة لفظ يدل على الضلال وفقدان الأثر أتى له بلفظ تهدي.

إن تكرار الشاعر لصيغ صرفية معينة في قصائده له أثر في خلق تماسك في نسيج النص يزيد من فاعلية الصورة الفنية، ويعلي القيمة الإيقاعية للنص .

يقول الشاعر مدوماً صيغة اسم المفعول:

سـليم الزمـانِ كمنكوبِـه ... وموفـوره مثـل محروبِـه
وممنوحـه مثْـل ممنوعـه ... ومكسـوه مثـل مسـلوبِه
ومحبوبـه رهـنِ مكروهـه ... ومكروهـه رهـن محبوبِـه
ومأمونـه تحـت محـذوره ... ومرجـوه تحـت مرهوبِـه

(ديوان ابن الرومي،١/٢٦٤- ٢٦٥)

(Ibn Al-Roomiy poetry, 1\265- 264)

هذه الأبيات من قصيدة بلغ عدد أبياتها (٢٧) بيتاً، وبالرجوع إلى القصيدة كاملة نجد أنَّ الشاعر كرَّر صيغة اسم المفعول (٤٤) مرة، مستفيداً من دلالة صيغة اسم المفعول التي تدل على وصف من يقع عليه الفعل ، ونجد أيضاً أنَّ الشاعر لجأ إلى حشد مجموعة من الوسائل خدمة لإيقاع أبياته، تمثلت في الجناس في (ممنوعه – محروبه)، والتبديل أو العكس في البيت الثالث، ويلاحظ شيوع التضاد في النص، إذ أفاد التضاد، التساوي بين الموجودات، وهذا ما عززه كلمة (مثل) التي تدل على التشبيه، وأيضاً (رهن) و (تحت) اللتين دلتا على التقييد .

ويلجأ ابن الرِ ومي أحياناً إلى تكرار الفعل الماضي المتصل بنون النسوة، وهي أفعال كلها تأتي على صيغة (فعلْن) فتتماثل أوزانها وصيغها محققة أسلوب المجانسة في (ضعفن، خلقن، بكرن، وشحن) . يقول مكرراً الفعل المضارع:

ويا عجباً، والدهر جمٌ عجيبه ... أيسكر ماءٌ حين لا تَسكر الخمر ؟
ويا عجباً، والدهر جمٌ عجيبه ... أينبتَ طلٌّ حين لا ينبتُ القطرُ ؟
ويا عجباً، والدهرُ جمٌ عجيبه ... أيقمر نجم حين لا يقمر البدر؟
وياعجباً، والدهرُ جمٌّ عجيبه ... أتبهر نار حين لا يبهر الفجر؟

(ديوان ابن الرومي،٣/١١٢٢)

(Ibn Al-Roomiy poetry, p3\1122) .

ان تكرار أصوات معينة في هذه النص اسهم في تماسك النص، فقد اتخذ صوت (التضاد) موقعا توزع بين أعجاز الأبيات، متخذاً من ذلك الامر وسيلة لتصوير ما الم به، وما يعيشه من بؤس، في زمن يغصُّ بالمتناقضات، فضلاً عن جانب التكرار الصوتي، فقد أسهمت مجموعة من الوسائل في تماسك النص، منها: تكرار الشاعر صدر الأبيات أربع مرات تكراراً نسقياً، ومنها تكرار أسلوب الاستفهام في بداية العجز أربع مرات، كذلك تكرار الأفعال: (يسكر)، و(ينبت) و(يقمر)، و(تبهر) .

ويستثمر الشاعر الطاقة الإيحائية للأصوات، وما تؤديه من دلالة تناسب موضوع نصه، فقد يلجأ إلى حشد مجموعة من الأصوات في سياق القصيدة، ويأتي هذا متوافقاً مع حالات الشاعر الوجدانية، كقوله في رثاء والدته:

أفيضا دماً إنَّ الرزايا لها قيم ... فليس كثيراً أن تجودا لها بدم
ولا تستريحا من بكاءٍ إلى كرى ... فلا حمدَ ما لم تسعداني على السأم
ويا لـذةَ العيش التي كنت أرتضي ... تَقَطَّع ما بيني وبينك فانصرم
رميتُ بخطبٍ لا يقوم لمثله ... شروري ولا رضوى ولا الهضب من خيم
بأنكرِ ذي نكرٍ وأقطع ذي شبا ... وأمقرِ ذي طعم وأوخم ذي وخم
رزيئة أم كنت أحيا بروحها ... وأستدفع البلوى واستكشف الغمم
وما الأمُّ إلا أمَّة في حياتها ... وأمٌّ إذا فادت وما الأم بالأمم
بنفسي غداة الأمس منْ بانَ من غدٍ ... وبِتُّ مع الأمسِ القرينة فانجذم
ولمَّا قضا الحاثونَ حثْوَ ترابهم ... عليها وحالت دونها مرةُ الوذم
أظلَّتْ غواشي رحمةَ الله قبرَها ... فأضحى جناباه من النارَ في حرم
أقول وقد قالوا: أتبكي كفاقد ... رضاعاً وأين الكهل من راضع الحلَم؟
هي الأمُّ يا للناس جرعت ثكلها ... ومن يبك أماً لم تذمْ قطُّ لا يذم

(ديوان ابن الرومي،٦/٢٢٩٩-٢٣٠٠) (Ibn Al Roomiy poetry, 6\2300- 2299)

تشي هذه القصيدة بلوعة الفقد التي عاناها الشاعر، تلك اللوعة التي الحت على وجدانه وتربعت على حشاشته، فاستوطن الهم والحزن قلبه، كل ذلك الألم الممض كان بسبب فقد (الام) الوطن الذي يحنو على الشاعر فبقدها فقد وطنا وملاذا كان يلجأ اليه في الشدائد والمحن .

لم يكن امام الشاعر – لا شعوريا – الا ان يوظف أصواتاً تعبر عن ذلك الألم الممض الذي اعتصر قلبه، فقد تراكمت أصوات معينة في سياق حزين وهي: (الميم، والراء، واللام)، فـ صوتا (اللام والراء) صوتان متقاربان في المخرج ويتشاركان في نسبة الوضوح السمعي، وإنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فضلاً عن تكرار صوت المد (الألف) بكثافة في البيتين الأول والثاني، مما أضفى على جوِ النصِ إيقاعاً بطيئاً مميزاً عن الأبيات الأخرى .

الى جانب تلك الأصـ وات كان لصوت (العين) حضور بنائيٌ ودلالي، فهو صوت احتكاكي مجهور، وله صفة صوتية خاصة تنشأ عن خروجه من وسط الحلق وهو لهذا له صفة صوتية خاصة، وله قرع خاص على الأذن، ناشئ من درجته وشدته، وكأنه بهذه الصفة يحكي شدة توجع الشاعر، وربَّما جرب أحدنا أنه إذا أصابه ألم ينطق (الهاء)، فإذا أشتد الألم، فربما تحول (الهاء) إلى صوت (العين)، وتأتي صفة الجهر في اللام والراء، فضلاً عن صفة التكرار للراء وحدها، لتسهم في تعميق دلالة الحزن، وتجعله نصا متماسكا بنائيا .

مما تقدم يمكن القول إن أهم ما يميز قصائده (وهي الميزة العامة لشعره) هي طول نفسه وشدة استقصائه المعنى واسترساله، وبهذا الاسترسال خرج عن سنة النظامين الذين جعلوا البيت وحدة النظم، وجعلوا القصيدة أبياتا متفرقة يضمها سمط واحد، قلما يطرد فيه المعنى إلى عدة أبيات وقلما يتوالى فيه النسق تواليا يستعصي على التقديم والتأخير والتبديل والتحوير، فخالف ابن الرومي هذه السنة وجعل القصيدة كلا واحدا لا يتم إلا بإتمام المعنى الذي أراده على النحو الذي نحاه .

المصادر باللغة العربية:

- ابن الاثير، ضياء الدين، (٦٣٧ هـ)، تحقيق: أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، منشورات دار نهضة مصر للطباعة (د.ت).
- ابن الرومي، تحقيق: الدكتور حسين نصَّار، (٢٠٠٣م)، ديوان ابن الرومي، الطبعة الثالثة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، مركز تحقيق التراث، القاهرة .
- بحيري، سعيد، (د. ت)، أشكال الربط في القرآن الكريم دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، (د.ط)، زهراء الشرق، القاهرة .
- حازم القرطاجني، أبو الحسن (ت٦٤٨هـ) تحقيق: محمد الحبيب خوجة، (١٩٨١م)، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، الطبعة الثانية، دار المغرب الإسلامي، بيروت .
- حسان، تمام (٢٠٠٠م)، البيان في روائع القرآن، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة .
- خطابي، محمد، (١٩٩١م)، مدخل إلى انسجام النص، (د.ط)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء .
- دي بوجراند، روبرت، ترجمة: تمام حسان، (١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م)، النص والخطاب والإجراء، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة .
- الزناد، (١٩٩٣م)، نسيج النص، بحث يكون به الملفوظ نصاً، (د.ط)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء .
- السجلماسي، أبو محمد القاسم، (ت٧٠٤ هـ)، تقديم وتحقيق علال غازي، ١٤٠١هـ- ١٩٨٠م، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، الطبعة الأولى، مكتبة المعارف، الرباط.
- عبد المجيد، جميل، (١٩٩٨م)، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
- العقاد، عباس محمود، (١٩٥٠م)، ابن الرومي حياته من شعره ، الطبعة الثالثة، مطبعة حجازي، مصر .
- الفقي، صبحي إبراهيم، (٢٠٠٠م)، ع لم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .

المصادر باللغة الإنجليزية:

1- Ibn al-Atheer, Dhiaa al-Din, (637 AH), investigation: Ahmed al-Hofi, d. Badawi Tabbana, the proverbial proverb in the literature of the writer and poet, published by Dar Nahdet Misr for printing

2- Abu Al-Hasan Al-Qurtajiy (born on 648 A.H.) - The Eloquent Platform and the Lamp of Literature – Investigation of Mohammed Al-Habeeb Khoujah – 2nd print – Beirut - Morocco Islamic House for printing 1981.

3- Bahiriy Saied - Problems of binding in the Holy Quran - Applied linguistic studies in the relation between structure and significance – Zahraa Al-Sharq – Cairo .

4- De Grand , Robert , Text, speech and procedure – translated by Tamam Hasan – books world – Cairo - 2nd print , 1428 A.H.– 2007 A. C. .

5- Hasan Tamam The statement in the masterpieces of the Koran - world of books – Cairo - 2nd print , 2000 A. C. .

6- Khatabiy Mohammed , Text linguistics- introduction to Harmony of speech - Casablanca – Arabic cultural center – 1991.

7- Al-Zinad – the texture of the sentence – a research in which the speech will be in text – Arabian cultural center – Beirut – Casablanca 1993.

8- Al-Saljamaniy (born on 704 A.H.) – the wonderful in the naturalization of the methods of wonderful – produced and investigated by Allal Ghaziy – Al-Maarif bookshop – Rabat – 1st print – 1410 A.H. – 1980.

9- Abdulmajeed Jameel – the wonderful of Arabic rhetoric and Textual Linguistics – the General Egyptian committee for books – Cairo 1998.

10- Al-Fuqiy Sabehiy Ibrahim – Textual linguistics between theory and practice – Qabaa house for printings & distributions – 2000.

11-Al-Qurtajniy – Abu Al-Hasan Hazim (born on 648 A.H.) – Platform of eloquent and the light of writers – investigated by Mohammed Al-Habeeb Khouja – 2nd printing – Beirut – Morocco Islamic House – 1981.

12- Al-Aqqad , Abbas Mahmood – Ibn Al-Roomiy – his life from his poetry – Hijaziy printing shop – Egypt – 3rd printing – 1950.

13- Nassar & Hussein – Ibn Al-Roomiy poetry - National Library and Archives Press - Heritage Investigational Center – Cairo – 3rd printing – 2003.